كلمة سعادة الدكتور
أكرم ضياء أحمد العمري
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية
للدراسات الإسلامية
لعام 1416هـ / 1996م

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
أصحاب السمو الأمراء
أصحاب الفضيلة والمعالي السعادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد عمل علماء هذه الأمة منذ جيل التابعين على كتابة السيرة النبوية كاملة لتمكين الأجيال من دراستها والإقتداء بصاحبها عليه الصلاة والسلام. وتتابعت الدراسات والمؤلفات في القرون التالية. وكان يكتبها المحدثون إلى جانب مؤلفاتهم في الحديث النبوي الشريف، ولكن انشغالهم بتمحيص الحديث صرفهم عن نقد أخبار السيرة. وقد تمكنوا من وضع منهج نقدي متكامل لتصحيح الأحاديث وتضعيفها، وهو أشمل وأعمق منهج لنقد الروايات عرفه العالم حتى بداية العصر الحديث حيث أفاد منه الغرب في بناء منهج النقد التاريخي الحديث. وكان العلماء المسلمون يتطلعون إلى القيام بدراسة روايات السيرة النبوية وتوثيقها كما فعلوا مع الأحاديث النبوية، لكنهم لم ينجزوا مشروعهم لانشغالهم بأولويات أخرى.

ومع بداية النهضة الحديثة للأمة الإسلامية قام عدد من علمائها بدراسة السيرة النبوية بأساليب حديثة وأنساق جديدة تقرب صورها ومعانيها للأجيال الصاعدة. وهي جهود مشكورة خدمت الجانب الثقافي. ولكن الثغرة المتعلقة بنقد الروايات وفق المنهج الحديثي بقيت قائمة.. لقط فطنت إلى أهمية هذا المشروع منذ شبابي، وشرعت منذ ثلاثين سنة بنشر الحلقات الأولى من دراستي عن السيرة النبوية وفق مناهج المحدثين في نقد الرواية، وهو أمر عسير يحتاج إلى استيعاب دقيق لمصطلح الحديث، ومرونة في التعامل مع الروايات التاريخية وفقه. لذلك تعرضت لمنهج كتابة تاريخ صدر الإسلام وملامح التصور الإسلامي للتفسير التاريخي وتقويم مصادر السيرة.

والدراسة معنية بمحاكمة الروايات التاريخية ونقدها، وتوثيق معلوماتنا عن السيرة النبوية، وهي بداية لإعادة صياغة التاريخ الإسلامي التي ترتفع صيحات كثيرة للشروع بها. وقد اكتمل المشروع قبل خمس سنوات حين صدرت الطبعة الأولى من كتابي (السيرة النبوية الصحيحة) فيكون قد استغرق ربع قرن. وقد ساهمت في إنضاجه مناقشاتي مع طلبة الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الذين كتبوا رسائلهم وأطروحتهم بإشرافي في موضوع السيرة النبوية لنيل درجات الماجستير والدكتوراه في أقسام السنة والتاريخ، والذين يزيد عددهم على العشرين. كانوا في غاية الانضباط العلمي والفعالية والصبر، وكانت ظروف المكان والزمان عاملاً محفزًا لمضاعفة الجهد وإنجاز العمل حيث إقامتي قرب المسجد النبوي عشرين عامًا كانت تذكرني بأمجاد السيرة وعظمة صاحبها عليه الصلاة والسلام، وأثر تعالمه طيلة أربعة قرنا في المجتمعات الإنسانية.

إن اليقظة الدينية في العالم الإسلامي تعبير عن الرغبة في بناء مجتمع متوازن متكافل يتسم بالحب والرحمة والتسامح، ويتعامل وفق منظومة للقيم والأخلاق تكفل العدل والمساواة بين الناس جميعًا، وهي يقظة تترافق مع النظرة العلمية الحديثة والتي بلورها علماء الطب والطبيعة وعلماء النفس، وهي نظرة تقر بوجود الله وبغائية الكون وجماليته وبأن له بداية ونهاية، وتعترف بالروح، وباستقلال العقل والإرادة وعدم ماديتها مما يجعلهما لا يخضعان بالموت للتحلل الذي يطرأ على الجسم والدماغ، كما أن جمالية الكون المتمثلة بالبساطة والتناسق والروعة والتناسب والتألق والوضوح مما لا يمكن أبدا أن ينشأ عن الصدفة، والضرورة، بل إن أصل الكون وبنيته وجماله تهدي إلى الله جلت قدرته.

وهذه النظرة العلمية الجديدة استغرق اكتمالها العقود السبعة الأخيرة من القرن العشرين مما يجعل من السهل استشراف الآفاق الفكرية للقرن المقبل والذي سيكون (قرن الإيمان). ومن هنا تبدو أهمية الدراسات الجادة في حقل السيرة النبوية توثيقًا وتحليلاً يقربها إلى أجيال القرن المقبل ليغترفوا من قيمها ويبنوا أنساق عالم القيم الذي يهيئ المناخ للحوار الحضاري والتعاون العلمي والثقافي بين البشر في أنحاء الأرض. وبهذه المناسبة أشكر القائمين على مؤسسة الملك فيصل الخيرية على جهودهم الكبيرة في الجائزة وتحقيق الأهداف التي أُنشئت من أجلها في دفع عجلة التنمية الثقافية والعلمية، كما أشكر الجامعات والهيئات التي رشحتني لنيل الجائزة وأدعو طلبة العلم إلى مواصلة جهودهم في إعادة بناء ثقافتنا العربية الإسلامية.

والله ولي التوفيق
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.